

نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالي (الكلمات الابوية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان النويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصلة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصلة مشتقة من الفصل . ثم تقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الا فرنسية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نعثر منها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة ابي علي قبر حنة ام مريم عليها السلام هـ) فرأينا العبارة قلقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعمي مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فمين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولوا (جسد) وانما قالوا (صند) فاحدى الكلمتين محرفة عن الاخرى واحدهما وهي (جسد) لما معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامتني لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا: وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الأفرنج الصليبيين . وهؤلاء بقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكر اسمها مجرداً عن لقب التكريم بل هم كما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الا فرنسية القديسة فكان رجال السيادة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الأفرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

بني المدرسة الصلاحية قال انه بناها على (صنت حنة) يعنى القديسة وانظر لماذا لم يقل القديسة بدل (سنت) ؟ ثم ان العرب بتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة (سنت) الى (صند) بقلب السين صاداً والتاء دالاً . وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الاعجمية . والحاصل ان العباد الكاتب قال (صند حنة) ونقل العباد عن مؤلف (الروضين) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بني المدرسة على (صندحنة) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعمي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) كتابه (الدارس) وخلص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على (صند حنة) وقد ظن النعمي ان معنى كلمة (صند) الافرنسية (قبر) ففسرها بقوله (اي على قبر حنة) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة (صند) فرجعوا أن تكون محرفة عن (جسد) وهكذا كتبوها (جسد حنة) فكلمة (صند) كلمة صليبية بمعنى ان العباد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة (سنت) بعد ان عربوها بصند . بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية (سيسليا) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا (صنت) بالتاء لا بالدال . والاندلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنها (شنت مزية) (شنت ياقب) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانها تضاف الى عدة اسماء . وليس كما قال .

ويمكن ان نضم الى كلمة (صند) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة (كُند) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للتويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب (او كتب كاتبه عنه) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله (والرغبة الى الله ألا تشق لدينا الا اكباد أكناد . ولا تجز غير شعور ملوك التتر الخ) فقوله (اكناد) جمع (كُند) وكند مغرب كونت (Conte) الافرنسية ومعناها أمير (راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة) وتاء (كنت) او (كونت) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخرجيهما أمر مستفيض في كلمات اللغة مثل (أعدت متكأ وأعدت) و (سبّد شعره وصبته) و (مرتّ الجلد ومرّده) و (مدّ الحبل ومته) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ما وقع في (سنت وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسلطوا هذا للقائل . وإنما هم قالوا بكثرتة فقط .

المغربي